المطلب الثالث

طلب الانتقام من الأولياء

المطلب الثالث

الانتقام من الأولياء

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾

(سورة النساء: ٥٦).

قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية وقال لكعب: **«يا كعب أخبرني بتفسيرها فإن صدقت صدقتك وإن كذبت رددت عليك، فقال: إن جلد ابن آدم يحرق ويجدد في ساعة أو في يوم ستة آلاف مرة! قال: صدقت»**[1].

وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا، فيعودوا كما كانوا[2].

ويؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فيصبغ صبغة ثم يقال له: يا بن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب!

ويؤتى بأشد الناس بؤسًا ثم يقال له: يا بن آدم هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط!

وروي أنه يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت.

---

(١)، (٢) رواهما البيهقي.

وقال ابو يعلى: يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في خدودهم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فيسيل الدم فتقرح العيون[1].

فيا هذا أين الذي جمعته من الأموال وأعددته للشدائد والأهوال؟ لقد أصبحت كفك منه عند الموت خالية صفرًا وبدلت من بعد غناك وعزك ذلاً وفقرًا فكيف أصبحت يا رهين أوزاره، ويا من سلب من أهله وديارة ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد وأقل اهتمامك لحمل الزاد إلى سفرك البعيد وموقفك الصعب الشديد، أوما علمت يا مغرور أن لابد لك من الارتحال إلى يوم شديد الأهوال وليس ينفعك ثَمَّ قيل ولا قال، بل بعد عليك بين يدي الملك الديان ما بطشت اليدان ومشت القدمان ونطق به اللسان وعملت الجوارح والأركان، فإن رحمك فإلى الجنان، وإن كانت الأخرى فإلى النيران، يا غافلاً عن هذه الأهوال إلى كم هذه الغفلة والتوان، أتحسب أن الأمر صغير وتزعم أن الخطب يسير؟ وتظن أن سينفعك حالك إذا آن ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك، أو يغني عنك ندمك إذا زلت بك قدمك، أو يعطف عليك معشرك حين يضحك محشرك، كلا والله ساء ما تتوهم ولابد لك أن ستعلم، لا بالكفاف تقنع، ولا من الحرام تشبع، ولا للعظاة تستمع، ولا بالوعيد ترتدع.

دأبك أن تتقلب مع الأهواء وتخبط خبط العشواء، يعجبك التكاثر بما لديك ولا تذكر ما بين يديك، يا نائمًا في غفلة وفي خبطه يقظان، إلى كم هذه الغفلة والتوان،

---

(١) «مكاشفة القلوب» (ص٣٧٢).

أتزعم أنك ستترك سدى وأن لا تحاسب غداً، أم تحسب أن الموت يقبل الرِّشا، أم تميز بين الأسد والرشا؟ كلا والله لن يدفع عنك الموت مال ولا بنون، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور؛ فطوبى لمن سمع ووعى، وحقق ما ادعى، ونهى النفس عن الهوى، وعلم أن الفائز من ارعوى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ (سورة النجم: ٣٩-٤٠).

فانتبه من هذه الرقدة واجعل العمل الصالح لك عدة، ولا تتمنى منازل الأبرار وأنت مقيم على الأوزار، عامل بعمل الفجار، بل أكثر من الأعمال الصالحات، وراقب الله في الخلوات رب الأرض والسماوات، ولا يغرنك الأمل فتزهد عن العمل، أوما سمعت الرسول حيث يقول لمَّا جلس على القبور: «يا إخواني لمثل هذا فاعدوا»، أوما سمعت الذي خلقك فسواك يقول: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ (سورة البقرة: ١٩٧).

تزود من معاشك للمعاد ■*■ وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً ■*■ فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم ■*■ لهم زاد وأنت بغير زاد؟

وأنشدوا:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ■*■ ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ■*■ وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

وقال آخر:

الموت بحر طافح موجه ■★■ تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إني قائل فاسمعي ■★■ مقالة من مشفق ناصح
لا ينفع الإنسان في قبره ■★■ غير التقى والعمل الصالح

وقال آخر:

أسلمني الأهل ببطن الثرى ■★■ وانصرفوا عني فيا وحشتا
وغادروني معدمًا بائسًا ■★■ ما بيدي اليوم إلا البكا
وكل ما كان كأن لم يكن ■★■ وكل ما حذرته قد أتى
وذاكم المجموع والمقتنى ■★■ قد صار في كفي مثل الهبا
ولم أجد لي مؤنسًا هاهنا ■★■ غير فجور موبق أوبقا
فلو تراني وترى حالتي ■★■ بكيت لي يا صاح مما ترى

وقال آخر:

ولدتك إذ ولدتك أمك باكيًا ■★■ والقوم حولك يضحكون سرورًا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا ■★■ في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا[(١)]

(١) «القرطبي»: «التذكرة» (ص١١٩، ١٢٠).

قال تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٣٨-٣٩).

يقول تعالى مخبراً عما يقوله لهؤلاء المشركين به المفترين عليه المكذبين بآياته: ﴿ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ ﴾ أي: من أمثالكم وعلى صفاتكم ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ﴾ أي: من الأمم السالفة الكافرة ﴿ مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ ﴾ يحتمل أن يكون بدلاً من قوله: في أمم ويحتمل أن يكون في أمم أي: مع أمم.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ كما قال الخليل عليه السلام: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ﴾ (سورة العنكبوت: ٢٥)، وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٦-١٦٧)، وقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا ﴾ أي: اجتمعوا فيها كلهم، ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ ﴾ أي: آخرهم دخولاً وهم الاتباع، لأولاهم وهم المتبوعون الأشد جرمًا من أتباعهم فدخلوا قبلهم فيشكوهم الاتباع إلى الله يوم القيامة لأنهم هم الذين أضلوهم عن سواء السبيل، فيقولون: ﴿ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴾ أي: أضعف عليهم العقوبة، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا

أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (سورة الأحزاب: ٦٦-٦٨)[1].

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾: الضعف المثل الزائد على مثله مرة أو مرات، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «ان الضعف هاهنا الأفاعي والحيات»[2].

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: فعلنا ذلك وجازينا كلاً بحسبه للتابع والمتبوع كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾ (سورة النحل: ٨٨)، وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ (سورة العنكبوت: ١٣)، وقوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (سورة النحل: ٢٥).

﴿وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ﴾ أي: قال المتبوعون للاتباع.

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ قال السدي: فقد ضللتم كما ضللنا.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ وهذه الحال كما أخبر الله تعالى عنهم في حال محشرهم في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة سبا: ٣١-٣٣)[3].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٢، ص: ٢١٧).
(٢) «تفسير القرطبي» (جـ٤، ص: ١٣١).
(٣) «تفسير ابن كثير» (جـ٢، ص: ٢١٨).

يقول سيد قطب: فإذا انتهى مشهد الاحتضار فنحن أمام المشهد التالي وهؤلاء المحتضرون في النار!... ويسكت السياق عما بينهما، ويسقط الفترة بين الموت والبعث والحشر وكأنما يؤخذ هؤلاء المحتضرون من الدار إلى النار!

﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ﴾ انضموا إلى زملائكم وأوليائكم من الجن والإنس... هنا في النار... أليس إبليس الذي عصى ربه؟ وهو الذي أخرج آدم من الجنة وزوجه؟ وهو الذي أغوى من أبنائه؟ وهو الذي أوعده الله أن يكون هو ومن أغواهم في النار؟... فادخلوا إذن جميعًا... ادخلوا سابقين ولاحقين... فكلكم أولياء... وكلكم سواء!

ولقد كانت هذه الأمم والجماعات والفرق في الدنيا من الولاء بحيث يتبع آخرها أولها ويملي متبوعها لتابعها، فلننظر اليوم كيف تكون الأحقاد بينهم وكيف يكون التنابز فيها:

﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ فما أبأسها نهاية تلك التي يلعن فيها الابن أباه ويتنكر فيها الولي لمولاه!

﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ وتلاحق آخرهم وأولهم واجتمع قاصيهم بدانيهم بدأ الخصام والجدال:

﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ وهكذا تبدأ مهزلتهم ومأساتهم! ويكشف المشهد عن الأصفياء والأولياء وهم متناكرون أعداء يتهم بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا، ويطلب له من ﴿رَبَّنَا﴾ شر الجزاء... من

﴿ رَبَّنَا ﴾ الذي كانوا يفترون عليه ويكذبون بآياته وهم اليوم ينيبون إليه وحده ويتوجهون إليه بالدعاء! فيكون الجواب استجابة للدعاء، ولكن أيَّة استجابة؟!

﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ لكم ولهم جميعًا ما طلبتم من مضاعفة العذاب! وكأنما شمت المدعو عليهم بالداعين حينما سمعوا جواب الدعاء فإذا هم يتوجهون إليهم بالشماتة... كلنا سواء... في هذا الجزاء:

﴿ وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ وبهذا ينتهي ذلك المشهد الساخر الأليم ليتبعه تقرير وتوكيد لهذا المصير الذي لن يتبدل[1].

(١) «في ظلال القرآن» (جـ٣، ص: ١٢٩٠).

قال تعالى: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾سورة ص: ٥٥-٦١).

قال ابن كثير: لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ ﴾وهم الخارجون عن طاعة الله عزَّ وجلَّ المخالفون لرسل الله صلى الله عليهم وسلم.

﴿ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾أي: لسوء المنقلب والمرجع، ثم فسره بقوله جلَّ وعلا: ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ﴾أي: يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم: ﴿ فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم؛ ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ أي: وأشياء من هذا القبيل. الشيء وضده يعاقبون بها.

قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا»[1].

قال كعب الأحبار: غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذت حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع، فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه ويجر لحمه كله كما يجر الرجل ثوبه.

---

(١) الترمذي وأحمد.

قال الحسن البصري في قوله تعالى ﴿ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾: ألوان من العذاب، وقال غيره: كالزمهرير والسموم وشراب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة والمتضادة والجميع مما يعذبون به ويهانون بسببه.

﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ (سورة الأعراف: ٣٨)، يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ ﴾ أي: داخل ﴿ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ أي: لأنهم من أهل جهنم ﴿ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ ﴾ أي: فيقول لهم الداخلون ﴿ بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ﴾ أي: أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير ﴿ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ أي: فبئس المنزل والمستقر والمصير ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿ قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٣٨). أي: لكل منكم عذاب بحسبه[١].

﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ﴾ قال الزمخشري: والمعنى: هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في صحبتكم وقرانكم، والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة... والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب[٢].

قال سيد قطب: قال تعالى: ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴾ ... ها هي ذي جماعة من أولئك الطاغين من أهل جهنم كانت

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٤، ص: ٤٢).
(٢) «تفسير الزمخشري» (جـ٣، ص: ٣٧٩).

في الدنيا متوادة متحابة فهي اليوم متناكرة متنابذة كان بعضهم يملي لبعض في الضلال وكان بعضهم يتعالى على المؤمنين ويهزأ من دعوتهم ودعواهم في النعيم كما يصنع الملأ من قريش وهم يقولون: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ (سورة ص:٨).

ها هم أولاء يقتحمون النار فوجًا بعد فوج وها هم أولاء يقول بعضهم لبعض: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ . . . فماذا يكون الجواب؟ يكون الجواب في اندفاع وضيق: ﴿لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾! فهل يسكت المشتومون؟ كلا! إنهم يردون!: ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ . . . فلقد كنتم أنتم السبب في هذا العذاب، وإذا دعوة فيها الحنق والضيق والانتقام: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾.

ثم ماذا؟ ثم ها هم أولاء يفتقدون المؤمنين الذين كانوا يتعالون عليهم في الدنيا ويظنون بهم شرًا ويسخرون من دعواهم في النعيم.

ها هم أولاء يفتقدونهم فلا يرونهم معهم مقتحمين في النار فيتساءلون: أين هم؟ أين ذهبوا؟ أم تراهم هنا ولكن زاغت عنهم الأبصار؟: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ﴾ (سورة ص:٦٢-٦٣)؟ . . . بينما هؤلاء الرجال الذين يتساءلون عنهم هناك في الجنان.

ويختم المشهد بتقرير واقع أهل النار: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (سورة ص:٦٤).

فما أبعد مصيرهم عن مصير المتقين، الذين كانوا يسخرون منهم ويستكثرون اختيار الله لهم، وما أبأس نصيبهم الذي كانوا به يستعجلون ويقولون: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (سورة ص:١٦)[1].

---

(١) «في ظلال القرآن» (جـ٥، ص:٣٠٢٤).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾(سورة فصلت: ٢٩).

قال علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾ إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه.

وقال السدي: فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة، فإبليس الداعي إلى كل شرك فما دونه وابن آدم، وفي الحديث: «**ما قُتلت نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل**» وقولهم: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾أي: أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابًا منا، ولهذا قالوا: ﴿لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾أي: في الدرك الأسفل من النار كما تقدم في سورة الأعراف في سؤال الاتباع من الله تعالى أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: ٢٨) أي: أنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وإفساده كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (سورة النحل: ٨٨)[1].

﴿اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا﴾أي: الشيطانين اللذين أضلانا ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾لأن الشيطان على ضربين جني وإنسي قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ (سورة الأنعام: ١١٢)، وقال تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (سورة الناس: ٥-٦). وقيل: هما إبليس وقابيل لأنهما سنا الكفر والقتل بغير الحق[2].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٤، ص: ٩٨).

(٢) «تفسير الزمخشري» (جـ٣، ص: ٤٥٢).

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ إنه الحنق والتحرق على الانتقام: ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ﴾ وذلك بعد المودة والمخادنة والوسوسة والتزيين! هذه صلة الوسوسة والإغراء![1].

(١) «في ظلال القرآن» (جـ٥، ص: ٣١٢٠).

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيراً ﴾ (سورة الأحزاب: ٦٧-٦٨).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيراً ﴾ (سورة الأحزاب: ٦٤-٦٨).

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي: أبعدهم من رحمته.

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً ﴾ أي: في الدار الآخرة.

﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ﴾ أي: ماكثين مستمرين، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها.

﴿ لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً ﴾ ليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه.

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ ﴾ أي: يسحبون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ (سورة الفرقان: ٢٧-٢٩).

وقال تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (سورة الحجر: ٢). وهكذا أخبر الله عنهم في حالتهم هذه الأمة أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾ قال طاووس: سادتنا يعني الأشراف، وكبراءنا يعني: العلماء.

أي: اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئًا وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شي.

﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: بكفرهم وإغوائهم إيانا[1].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾ إن الله طرد الكافرين من رحمته وهيأ لهم نارًا مسعرة متوقدة فهي معدة جاهزة حاضرة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾ باقين فيها عهدًا طويلاً لا يعلم مداه إلا الله ولا نهاية له إلا في علم الله حيث يشاء وهم مجردون من كل عون محرومون من كل نصير، فلا أمل للخلاص من هذا السعير بمعونة من ولي ولا نصير.

﴿لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾ أما مشهدهم في العذاب فهو مشهد بائس أليم.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ والنار تغشاهم من كل جهة، فالتعبير على هذا النحو يراد به تصوير الحركة وتجسيمها والحرص على أن تصل النار إلى كل صفحة من صفحات وجوههم زيادة في النكال!

---

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ٣، ص: ٥٣٦).

﴿ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاْ ﴾ وهي أمنية ضائعة لا موضع لها ولا استجابة فقد فات الأوان إنما هي الحسرة على ما كان!

ثم تنطلق من نفوسهم النقمة على سادتهم وكبرائهم الذين أضلوهم وبالإنابة إلى الله وحده حيث لا تنفع الإنابة: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً ﴾ هذه هي الساعة ففيم السؤال عنها؟ إن العمل لها هو المخلص الوحيد من هذا المصير المشؤوم فيها[1].

(١) «في ظلال القرآن» (جـ٥، ص: ٢٨٨٢-٢٨٨٣).

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٥-١٦٧).

يذكر الله تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أندادًا أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: قلت: **يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك**[1].

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئًا بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجئون في جميع أمورهم إليه.

ثم توعد الله تعالى المشركين به الظالمين لأنفسهم بذلك فقال: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾.

قال بعضهم: تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا أي أن الحكم له وحده لا شريك له وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ (سورة الفجر: ٢٥-٢٦).

يقول: لو يعلمون ما يعاينونه هنالك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال، ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتبري المتبوعين من التابعين فقال: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار الدنيا فتقول الملائكة: ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ (سورة القصص: ٦٣)، ويقولون: ﴿ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ (سورة سبأ: ٤١).

والجن أيضًا تتبرأ منهم ويتنصلون من عبادتهم لهم كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (سورة الأحقاف: ٦).

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (سورة مريم: ٨١-٨٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ أي: عاينوا عذاب الله وتقطعت بهم الحيل وأسباب الخلاص ولم يجدوا عن النار معدلاً ولا مصرفًا.

قال ابن عباس: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ قال: المودة.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ أي: لو أن لنا عودة إلى الدار الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء ومن عبادتهم فلا نلتفت إليهم بل نوحد الله وحده بالعبادة ـ وهم كاذبون في هذا، بل لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك، لهذا قال: ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: تذهب وتضمحل كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ

﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ (سورة الفرقان: ٢٣)، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ (سورة إبراهيم: ١٨)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ (سورة النور: ٣٩). ولهذا قال: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[1].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ من الناس من يتخذ من دون الله أندادًا... كانوا على عهد المخاطبين بهذا القرآن أحجارًا وأشجارًا أو نجومًا وكواكب أو ملائكة وشياطين وهم في كل عهد من عهود الجاهلية أشياء أو أشخاص أو إشارات أو اعتبارات، وكلها شرك خفي أو ظاهر إذا ذكرت إلى جانب اسم الله وإذا أشركها المرء في قلبه مع حب الله، فكيف إذا نزع حب الله من قلبه وأفرد هذه الأنداد بالحب الذي لا يكون إلا لله؟

إن المؤمنين لا يحبون شيئًا حبهم لله لا أنفسهم ولا سواهم لا أشخاصًا ولا اعتبارات ولا إشارات ولا قيمًا من قيم هذه الأرض التي يجري وراءها الناس.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أشد حبًا لله، حبًا مطلقًا من كل موازنة ومن كل قيد، أشد حبًا لله من كل حب يتجهون به إلى سواه، والتعبير هنا بالحب تعبير جميل فوق أنه تعبير صادق، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب، صلة الوشيجة القلبية والتجاذب الروحي، صلة المودة والقربى، صلة الوجدان المشدود بعاطفة الحب المشرق الودود!

﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ

(١) «تفسير ابن كثير» (جـ١، ص: ٢٠٢، ٢٠٣).

أنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أولئك الذين اتخذوا من دون الله أندادًا فظلموا الحق وظلموا أنفسهم لو مدوا أبصارهم إلى يوم يقفون بين يدي الله الواحد! لو تطلعوا ببصائرهم إلى يوم يرون العذاب الذي ينتظر الظالمين! لو يرون لرأوا﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فلا شركاء ولا أنداد. . .﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ .

لو يرون إذ تبرأ المتبوعون من التابعين ورأوا العذاب. فتقطعت بينهم الأواصر والعلاقات والأسباب وانشغل كل بنفسه تابعًا كان أم متبوعًا وسقطت الرياسات والقيادات التي كان المخدوعون يتبعونها وعجزت عن وقاية أنفسها فضلاً عن وقاية تابعيها وظهرت حقيقة الألوهية الواحدة والقدرة الواحدة وكذب القيادات الضالة وضعفها وعجزها أمام الله وأمام العذاب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ . . . وتبدي الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين في القيادات الضالة وتمنوا لو يردون لهم الجميل! لو يعودون إلى الأرض فيتبرأوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة في حقيقتها التي خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب!.

إنه مشهد مؤثر: مشهد التبرؤ والتعادي والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، بين المحبين والمحبوبين! وهنا يجيء التعقيب الممض المؤلم: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [(١)].

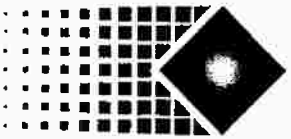

---

(١) «في ظلال القرآن» (جـ١، ص: ١٥٣-١٥٤).